

النقد الائتماني للعلمانية عند طه عبد الرحمن

أ.لعورنجاح

إشراف: د. طاوطاو الشريف

جامعة عباس لغرور، خنشلة

Résumé

Cet article a pour objectif de faire apparaître l'approche spirituelle du concept de la laïcité chez Taha Abd Rahmane , ce terme est considéré comme l'un des concepts les plus compliqués qu'ils soient phylosofiques ou idéologiques, aussi bien qu'il manifeste les critiques importantes que Taha a envoyés vers la laïcité comme concept et réalité intruse sur l'idéologie arabe islamique et ce qu'elle a de précautions sur la religion islamique.

الملخص

يهدف هذا المقال إلى إبراز المقاربة الروحية لمفهوم العلمانية عند طه عبد الرحمن، هذا المصطلح الذي يعد من أكثر المصطلحات والمفاهيم الفلسفية والفكرية تعقيدا، والذي أحدث انقساماً بين النخب الثقافية المختلفة، إضافة إلى تبيان أهم الانتقادات التي وجهها طه للعلمانية كمفهوم وواقع دخيل على الفكر العربي الإسلامي وما لها من محاذير على الدين الإسلامي.

يعتبر النقد خاصية أساسية من خصائص الفكر الفلسفي، لذلك نجد أن العديد من الفلاسفة منذ أقدم العصور و حتى يومنا هذا، قد اهتموا بالنقد الفلسفي، سواء بممارسته على مايعالجونه من أفكار ومشكلات فلسفية، أو من حيث اعتباره أحد أهم المناهج الفلسفية التي تَشترط في عملية البحث الفلسفي. وإن كان قد سلكه كطريقة في البحث الفلسفي العديد من الفلاسفة منذ زمن بعيد، إلا أنه لم يُتخذ كمنهج فلسفيا صارما إلا بدءا بكانط (1724-1804) معلنا ميلاد عصر النقد لكل شيء، حتى الدين، مهما تذرع بقديسته وجلاله، فلا يمكنه أن يتملص من النقد. وهذا ما أدى فيما بعد بالعديد من الفلاسفة والمفكرين سواء العرب أو الغرب إلى إتباع النقد منهجا وفكرا في كتاباتهم الفلسفية، ومن بين أهم المفكرين العرب المتمرسين في هذا المجال "طه عبد الرحمن"، ولأنه يمتلك هذا الحس النقدي، نافرا من كل تقليد لفكر الآخر الغربي، مبدعا في كل مؤلفاته غلب على معظم كتاباته منهج النقد، ولكنه ليس كأى نقد فهو نقد مبتكر بمنهج مبتكر سمّاه "النقد الإثتماني"، الذي امتد إلى نقد المفاهيم والقيم والمبادئ التي تأسست عليها الحداثة الغربية، ومن بين أهم المفاهيم الحداثية الغربية التي وضعها طه عبد الرحمن على محك النقد والتقييم مفهوم "العلمانية"، وذلك بالنظر إلى أهمية هذا المفهوم في المشروع الحداثي والدور الذي لعبه في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، إذ يقسم هذا الفكر إلى اتجاهين أساسيين، اتجاه مؤيد له ويمثله العلمانيون، واتجاه معارض له ويمثله الإسلاميون، ونظرا للغموض الذي يكتنف هذا المفهوم، والجدل الذي أثير حوله، فقد ارتأينا طرح وجهة نظر طه عبد الرحمن في الموضوع، باعتباره طرحا يتوخى الأصالة والإبداع طبقا لأهداف مشروعه الفكري وفلسفته الإثتمانية. والإشكالية العامة التي يطرحها هذا البحث هي: العلمانية من منظور طه عبد الرحمن ويتفرع عنها العديد من المشكلات أهمها:

النقد الانتماني للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... أ.لعورنجاح

- مامفهوم العلمانية بشكل عام ، ومفهومها عند طه عبد الرحمن ؟
- ما العيوب والنقائص والمحاذير التي يراها طه عبد الرحمن في العلمانية؟

أولاً: مفهوم العلمانية في السياقين الفكريين الغربي والعربي:

مفهوم العلمانية مفهوم شائك ومعقد، والدليل على ذلك وجود العديد من التعريفات المختلفة لكثير من العلماء والفلاسفة المهتمين، حيث لا يكاد يُجمع أغلبيهم على معنى واحد للعلمانية، إما بسبب التطور التاريخي لهذا المفهوم أو لتعدد دلالات و معاني استخداماته في الكثير من العلوم الاجتماعية ، أو لاشتقاقاته اللغوية المختلفة، والتي يرى فيها البعض من المفكرين والفلاسفة اختلافًا والبعض الآخر يرى أنها تحمل نفس المعنى، كقول بالعلمانية، العلمنة، العالمانية، العلمانية، الدنيوية، اللادينية... الخ

1- مفهوم العلمانية في السياق الغربي:

أ- التعريف اللغوي:

ورد تعريف العلمانية في القاموس الفرنسي الإنجليزي "Le robert" بمعنى اللائكية، وهي¹ "Civil le séculaire, colleg non-religions" أي التعليم البعيد عن الأسس الدينية ، و laïcité مأخوذة لغويًا من laïque أي المنتمي للشعب أو العامة ، لكن هذا الفصل لا يعني إقصاء الدين نهائيًا ، بل يعني عدم تدخل الدولة في المجال الديني، ليبقى الدين حياديًا ، كما لا ينبغي للدين التدخل في شؤون الدولة. وقريبًا من مصطلح "اللائكية" الذي جرى استعماله خاصة في فرنسا، كان مصطلح السيكلولاريزم منتشرًا في إنجلترا، وقد ترجم إلى العربية بالعلمانية(بفتح العين)لأن لفظ secularism في الإنجليزية و secularité في الفرنسية يعنيان العالم أو القرن، أو الزمن، أو الدهر وأصلها اللاتيني هو saeculum²

التعريف الاصطلاحي:

النقد الانتماني للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... أ.لعورنجاح
يعرف جون هوليك Holyoke George jakob العلمانية في مؤلفه "العلمانية الانكليزية" بقوله "العلمانية هي قانون ورمز الواجب مؤسس على اعتبارات إنسانية محضة وهو موجه بالدرجة الأولى إلى من يعتقدون تقصير اللاهوت أو عجزه، وأنه غير جدير بالثقة والتصديق"³ والملاحظ على هذا التعريف أن هوليك يعتقد أن العلمانية يمكن أن تحل محل الدين، أو هي ايديولوجيا ذات نزعة إنسانية موجه خصيصا للذين فقدوا الثقة في الديانة المسيحية ولا يشكل الدين بالنسبة لهم أهمية، وعليه فالبدل هو اعتقاد آخر يغنيهم عن أكاذيب وادعاءات الدين، ويعالج مشكلاتهم الوجودية والدينيوية .
ويعتقد "أوليفيه روا" Olivier Roy أنه هناك فرق بين العلمانية والدَّنيوية، وأكد على أنهما ليسا مفهومين مترادفين، أي لا يحملان نفس المعنى، فالدَّنيوية ظاهرة اجتماعية، أما العلمانية فهي ظاهرة سياسية؛ أي الأولى أفرزتها ظروف اجتماعية، بمعنى ابتعاد البشر وبالتدرج عن الانشغال والاهتمام بالممارسات والشعائر الدينية بحيث يصبح الدين عندهم لا يشكل أي أهمية على الإطلاق، ليصبحوا منشغلين بالأمر الدينيوية والمادية البعيدة عن القيم الايمانية، أما العلمانية فهي وليدة ظروف سياسية، وفق مرسوم تصدره الدولة، فهي قضية وقرار تبت فيه الدولة فيصبح فصل الدائرة الدينية عن الدائرة السياسية على صعيد المجتمع، ويوضح ذلك قائلا: "الدَّنيوي هي ظاهرة اجتماعية لا تتطلب أي استخدام سياسي، وذلك عندما يكفُّ الديني عن احتلال مكان المركز في حياة البشر، حتى وإن استمروا في وصف أنفسهم بالمؤمنين، كما أن ممارسات الناس والمعنى الذي يضفونه على العالم لا تحمل سمة التسامي والديني، وأعلى مراحل الدَّنيوية هي زوال الدين، ولكن بلطف...غير أن الدَّنيوية ليست ضد الديني أو الإكليروس: "يكف المرء ببساطة عن الممارسة الدينية أو الكلام عنها. وتلك سيرورة، أما العلمانية بالمقابل فهي صريحة، إنها خيار سياسي يحدد بأسلوب سلطوي وقانوني مكان الديني، تنشأ العلمانية بمرسوم تصدره الدولة غير أنها

النقد الانتماني للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... ألعورنجاح
لاتنبذ الديني بالضرورة في القطاع الخاص، بخلاف ماتفيد به أسطورة شائعة،
والأحرى أن تعين، وإذا تحدد بكل معاني الكلمة، إمكانية رؤية الديني في المجال
العام.⁴؛ أي أن الدنيوية اختيار فردي ذاتي، أما العلمانية فهي أيضا اختيار،
ولكنه اختيار سياسي مفروض بقرار من الدولة، ويضيف "العلمانية في نظر
القانون ليست حالة عقلية ولا فلسفية، كما أنها ليست مبدأ بل مجموعة
قوانين تستمد صلاحيتها من إدارة المشروع، وعلى ذلك فإن حقيقتها سياسية."⁵
فأوليفيه يصر هنا على أن العلمانية خاصة بالشأن السياسي أي فصل الدين
عن السياسة.

ويرى طلال أسد أن مصطلح العلمانية دخل إلى الانكليزية في منتصف القرن
التاسع عشر على يد بعض المفكرين الغربيين حتى يبعدوا شبهة الإلحاد أو
الكفر، وهي مصطلحات آنذاك، تحمل معاني اللاأخلاقية وسط مجتمع أغلبه
مازال مسيحياً.⁶

2- مفهوم العلمانية في السياق العربي:

أ- التعريف اللغوي:

ورد في المعجم الوسيط تعريف العُلْمَانِيَةِ مانصبه " العُلْمَانِيُّ نسبة إلى العَلَمِ
بمعنى العالم، وهو خلاف الديني أو الكهنوتي"⁷
واللائكية أو العلمانية مأخوذة من العَلَمِ بمعنى العالم فهي العلماني (بفتح
العين)، وأصل الكلمة الإفرنجية من (laikas) الإغريقية، وهذه التفرقة بين
العلمانية والكهنوتية مستمدة من اليهودية وفرعها المسيحية، حيث الكهانة
والكهنوت من اصطلاحات التوراة، فكانت ممارسة ذلك من نصيب عائلة
هارون، وكان كل ذكر من ذرية هارون كاهنا، بشرط ألا يكون به عيب أو تشوه
جسدي، والعلماني يعمل للدنيا، وغايته هذا العالم وليس الآخرة، وربما يكون
اشتقاق علمانية (بكسر العين) من العلم، وقد قام التنوير على العلم، أي على
الدنيا، وليس على الدين.⁸ وفي موسوعة الأديان نجد مفهوم العلمانية

النقد الانتمائي للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... أ.لعورنجاح
"Secularism" يرادف معنى اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل، ومراعاة المصلحة بعيدا عن الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة "Science" ومدلولها المتفق عليه هو عزل الدين عن الدولة، وحياة المجتمع وإبقاءه حيًا في ضمير الفرد، ولا يجوز له التدخل إلا في الشعائر التعبدية والمراسيم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما.⁹

ب- التعريف الاصطلاحي:

هناك عدة تعريفات اصطلاحية للعلمانية عند المفكرين العرب مختلفة باختلاف توجهاتهم، وتم التركيز على تعريفات أهم المفكرين الذين تعمقوا في دراسة جذور ومعاني ومفاهيم هذا المصطلح أي العلمانية، ولهم مؤلفات غزيرة في هذا الموضوع، خاصة عبد الوهاب المسيري، محمد أركون، محمد عمارة...

يرى عبد الوهاب المسيري أن هذا الإبهام واللبس والاختلاف في دلالة مصطلح العلمانية راجع إلى أن هذا المصطلح منبته غربي، وبالتالي فمعناه لا يتضح إلا بالرجوع إلى المعاجم الغربية ولأن "معظم تعريفاتنا للظواهر الإنسانية تستند إلى تعريفات الفكر الغربي الذي نستورد منه معظم مصطلحاتنا إن لم يكن كلها، ولذلك فدلالة هذا المصطلح لا تتحدد إلا بالإشارة إلى المعجم الحضاري الأصلي أي الغربي".¹⁰

وتعريف عبد الوهاب المسيري لمصطلح العلمانية هو "ترجمة لكلمة "سيكولاريزم" "Secularism" الإنجليزية، وقد استخدم مصطلح "سيكولار" "Secular" لأول مرة مع نهاية حرب الثلاثين عاما (عام 1648) عند توقيع صلح وستفاليا وبداية ظهور الدولة القومية الحديثة، وهو التاريخ الذي يعتمده كثير من المؤرخين بداية لمولد الظاهرة العلمانية في الغرب".¹¹

إلا أن هناك من يعترض على ترجمة العلمانية بـ"سيكولاريزم" "Secularism" ويعتبرها ترجمة خاطئة ولا تحمل نفس المعنى والدلالة كما يقول سفر عبد

النقد الانتماني للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... أ.لعورنجاح
الرحمن الحوالي:" لفظ العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة (secularism) في
الإنجليزية، وهي كلمة لا صلة لها بلفظ "العلم" ومشتقاته على الإطلاق . فالعلم
في الإنجليزية والفرنسية معناه (science)، والمذهب العلمي نطلق عليه كلمة
(scientism) والنسبة إلى العلم هي (scientific) بالإنجليزية أو (scientifique) في
الفرنسية

ثم إن زيادة الألف والنون غير قياسية في اللغة العربية، أي في الاسم المنسوب،
وإنما جاءت سماعاً ثم كثرت في كلام المتأخرين كقولهم: روحاني، وجسماني،
ونوراني...¹²

وبالتالي فالترجمة الصحيحة عند سفر بن عبد الرحمن الحوالي للعلمانية
هي (اللا دينية) أو (الدنيوية) لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب بل بمعنى أخص
وهو ما لا صلة له بالدين، أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد¹³. وعليه
فمفهوم العلمانية عند سفر بن عبد الرحمن الحوالي يحمل معنا خاصا وهو
إلغاء كل ما هو ديني عن كل ما هو دنيوي ، وليس فقط فصل شأن الدين عن
شأن الدولة .

ويؤكد عبد الوهاب المسيري على أن أول من صك مصطلح العلمانية
بمعناه الحديث هو جون هوليكوك Holyoke George jakob ؛ ويعني
بها:"علمنة ممتلكات الكنيسة وحسب، بمعنى "نقلها إلى سلطات غير دينية"، أي
سلطة الدولة أو الدول التي لا تخضع لسلطة الكنيسة، وفي فرنسا في القرن
الثامن عشر أصبحت الكلمة تعني من وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكية
:"المصادرة غير الشرعية لممتلكات الكنيسة"¹⁴، أي تطور مفهوم العلمانية في
أوروبا من فرض وصاية الدولة على ممتلكات الكنيسة إلى احتجاج الكنيسة
على هذه الوصاية واعتبارها غير قانونية. تقريبا مثل هذا المعنى للعلمانية نجده
عند محمد أركون حيث يعرف العلمانية في كتابه "العلمنة والدين"، بأنها:"
إحداث القطيعة الجذرية مع كل ما يشرط الموقف الديني ويتحكم فيه"¹⁵ أي

النقد الانتمائي للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... ألعورنجاح
إبعاد الدين نهائيا عن كل ما يتعلق بمجالات الدينوي. ويعتقد أركون أنه هناك
فرق بين العلمنة والعلمانية المناضلة (le lacisme militant) والوضعية،
فالأولى أي العلمنة من منظوره الشخصي " هي موقف للروح وهي تناضل من
أجل امتلاك الحقيقة أو التوصل إلى الحقيقة " ¹⁶ فالحقائق لا تأتي جاهزة من
خارج الذات بل يناضل الإنسان من أجل الوصول إليها أو امتلاكها، ولو تفرض
عليه فرضا، وإنما يبحث عنها هو بنفسه، فالإنسان هو الذي يبحث عن ماهو
حقيقي فعليا متجاوزا لكل موروث ثقافي أو تاريخي أو حتى ديني ليصل إلى
حقيقة تتطابق مع العقل والذهن، ومثل هذه العلمنة إجبارية لا اختيارية
تفرض نفسها على الجميع، أما مقصود العلمانية المناضلة والوضعية عند
أركون فهي، في عداوة تامة مع الدين وتعتبر موقف الدين متعارض مع موقف
العقل المستقل، لذلك ألغى عالم الاجتماع أوجست كونت "المرحلة التيولوجية
أو اللاهوتية" ، وبالتالي تستبعد هذه المرحلة الموقف الديني كليا، ومثل هذه
المواقف سيطرت على الأوساط الثقافية والفكرية والسياسية ، ونتج عن هذا
الموقف النضالي للكهنوت، تفاقم الأزمة مع كل ماهو ديني بسبب الأيديولوجية
الماركسية فهي تلغي أهمية الموقف الديني وتعتبره بنية فوقية أو قشرة سطحية،
لتختزل حقيقة العالم والمجتمع والقوة الحقيقية للتاريخ في نظام التبادل
والإنتاج. ¹⁷

ومثل هذا الموقف من الدين حسب أركون لا يمكن أن يصطلح على تسميته
"بالعلماني" بل يسمى " بالعلمانية اللامتسامحة"، فمثل هذا الموقف الذي
يلغي تماما الدين لا يقل خطورة وتشبها بموقف رجال الدين تعصبا وتطرفا
فالعلمانوي مفرط في عدائه واستبعاده للدين، والكنيسة مفرطة في موقفها
الدغمائي اليقيني لكل ماهو ديني.

ويذهب محمد عمارة إلى الاعتقاد أن العلمانية مرت بمرحلتين أساسيتين:

النقد الانتمائي للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... أ.لعورنجاح
المرحلة الأولى: كانت العلمانية تعني عزل الدين عن الكنيسة وعن شؤون المجتمع وسياساته ومؤسساته لحساب بناء الدولة البورجوازية زائد تصفية اللاهوت المسيحي الكاثوليكي وتنقيته مما هو غير عقلائي، ورفع الوصاية على التعليم، تمكينا للفطرة الإنسانية من الاختيار.

المرحلة الثانية: ويسمى بالعلمانية الثورية يمثلها فلاسفة الفلسفة الاشتراكية، استهدفت فيها هدم الدين وتخليص المجتمع والاشتراكية من تأثيراته¹⁸ فالشيوعية هدفها هنا ليس عزل الدين فقط بل هدمه من أساسه على المدى البعيد وبالتالي فهم يسعون إلى خلق مجتمع ودولة خالية تماما من أي معتقد أو دين.

وفي تصور عبد الوهاب المسيري العلمانية علمانيتان لاعلمانية واحدة، جزئية وشاملة، الجزئية يقصد بها "فصل الدين عن الدولة"... وهذا هو المفهوم الشائع و المتداول بكثرة في أوساط المثقفين والمفكرين باختلاف مجالات تخصصاتهم الأكاديمية، والثانية أي (الشاملة) لا تعني فصل الدين عن الدولة فحسب، بل هي علمانية تشمل جميع المجالات الدنيوية، فهي تعني "فصل الدين عن الطبيعة وعن حياة الإنسان في جانبها العام والخاص، بحيث تُنزع القداسة عن العالم ويتحول إلى مادة استعمالية يمكن توظيفها لصالح الأقوى".¹⁹

فالعلمانية حسب المسيري تشمل جميع مجالات الحياة، ويتم فرضها على الدول الضعيفة لصالح الأقوى. أما محمد عابد الجابري فيعطي للعلمانية تسمية أخرى ومفهوم آخر وهو "الحدثة السياسية"، والتي تستمد شرعيتها من كونها تمثل إرادة الشعب والمصلحة العامة والتي ظهرت نتيجة الصراع بين الأمير والكنيسة خلال القرون الوسطى، وقد نجم عنها حسب محمد عابد الجابري ظهور نظرية "التعاقد" أو العقد الاجتماعي من قبل روسو التي تقول أن سلطة الكنيسة من الله، وبالتالي فهي الأعلى، بينما سلطة الأمير من الشعب، وبالتالي فهي أدنى وقد أدى هذا التوزيع في مصدر السلطة إلى القول أن الأمير يمكن

النقد الانتمائي للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... أ.لعورنجاح
عزله إذ لم يعمل لخدمة الشعب ولفائدة المصلحة العامة، وهكذا ظهر عنصر
جديد، بل طرف ثالث في خلية الصراع بين الأمير والكنيسة، هو "الشعب"
والمصلحة العامة، وبناء شرعية السلطة على التعاقد".²⁰

ويقصد محمد عابد الجابري بذلك أن العلمانية حدث سياسي نتج عنه
عزل سلطة الكنيسة باعتبارها سلطة أعلى تستمد مرجعيتها من الدين أي
المتعالي، وما كان من أعلى كان بعيدا عن خيارات الشعب وتطلعاته، لتحل محله
سلطة الأمير المستمدة من سلطة الشعب أو "الإرادة العامة"، وبالتالي فالسلطة
السياسية تكون للشعب وحده دون الكنيسة.

إلا أن لطفه عبد الرحمن مفهوم آخر للعلمانية، فهو يرى أن من أبرز
المفاهيم والآليات التي أفرزتها مشاريع الحداثة "فصل المتصل"، وتفريق
المجموع"، وانتزاع قطاعات الحياة من الدين، أو ما سماه بالدينيانية، وهذا
الفصل كان نتاجا حتميا لدفع تحكم وسيطرة وفساد أرباب الكنيسة
الكاثوليكية، وأشهر هذا الانفصال كما يقول طه عبد الرحمن: "باسم انفصال
السياسة عن الدين"، كما تمت قبل ذلك الدعوة إلى الانفصال عن أركان الدين
المسيحي، لدرء آفتين عرضتا له وهما: "لاعقلانية المعتقدات ولا تسامحيه
المعتقدين"، ولقد أطلق على الانفصاليين السياسي والأخلاقي إسم واحد جعل له
مقابل عربي هو "العلمانية".²¹

ويبدو أن إطلاق نفس التسمية على نفس الانفصاليين حسب طه عبد
الرحمن غير حقيقي، وغير دقيق تاريخيا وعلائقيا لسببين هما:
السبب الأول: "أن الانفصاليين ليسا من نفس الدرجة ولا من نفس
الفترة"²² فانفصال الأخلاق عن الدين زمنيا وتاريخيا كان أسبق من انفصال
السياسة عن الدين.

السبب الثاني: "أن هذه التسمية قد تشعر بوجود علاقة بين السياسة
والأخلاق"²³، وهذا غير جائز خاصة بعد ظهور الكتاب الشهير لميكيا فيلي

النقد الانتمائي للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... أ.لعورنجاح
"الأمير" الذي حدد فيه جملة الصفات والأخلاقيات التي يجب على الحاكم
والسياسي أن يتحلى بها، لذلك اصطلح طه عبد الرحمن على "فصل الدين عن
الأخلاق" "الدهرانية" واصطلح على فصل الدين عن السياسة "بالعلمانية"،
وفصل الدين عن جميع مجالات الحياة "بالدنيانية"، وهذا يعني أن مفهوم
العلمانية عند طه عبد الرحمن محدد لا لبس فيه وهو "فصل الدين عن
السياسة"، وتكون بذلك الدهرانية أختا للعلمانية كما هي أخت للعلمانية، إذ
كلمها بنات للدنيانية.²⁴

وللدنياوية صورة أخرى سماها طه "بما بعد الدهرانية" أو "الشروء"، في
مقابل الخروج عن الدين الذي سماه "بالمروق" أو "بؤس الدهرانية"، لذلك
فللدهرانية صور وأنواع كما يقول: "فإذا كان الدهراني مارقا، فقد أضحى ما بعد
الدهرانية شاردا"، ومنشأ الدهرانية هو إنكار أمرية الإله إثباتا لأمرية الإنسان...
بينما منشأ ما بعد الدهرانية هو إنكار شاهدة الإله إثباتا لشاهدة
الإنسان".²⁵

والمقصود بالأمرية الإلهية هي أوامر الله تعالى لعباده المبيّنة في الشرائع
السماوية التي ترشدهم إلى الحق وتأمّهم بإتباعه ليتحقق لهم العيش السعيد
في الدارين، وتنههم عن الباطل وتبعاته وما ينجر عنه من شقاء في الدارين
أيضا، والشاهدة هي المشاهدة والمراقبة الإلهية لأفعال العباد المخالفة أو
الطائفة للأوامر الإلهية، غرضهما تجسيد العدالة الإلهية في الدنيا والآخرة.

ثانيا: مفهوم النقد الإنتمائي:

1- التعريف اللغوي للنقد: بالنسبة للمعنى اللغوي للنقد، فالمقصود به في
المعاجم العربية هو الفحص والاختبار وضرورة مناقشة المعلومات كلها وليست
هناك معرفة مقبولة إلا بعد بحث وتمحيص²⁶ وبذلك يكون النقد بمثابة
التقييم، إما بإظهار الزيف والعيوب، وإما بإظهار المحاسن عن طريق الفحص
والتدقيق من غير أي تحيز وبموضوعية تامة.

النقد الائتماني للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... أ.لعورنجاح
والنقد كذلك هو: "نقد الدراهم وانتقدها بمعنى أخرج منها الزيف، والانتقاد عند المحدثين هو التعليل أي إظهار مافي الحديث من علة، وعلّة الحديث هي التحريف، والناقد هو المعلل. ونقد الكلام كشف عيوبه، والنقد تقويم، وهو قسم من المنطق يتعلق بالحكم، وبهذا المعنى يقال نقد المعرفة، ونقد العقل، وهو الفحص والتدقيق بهدف بيان مافي الأثر من عيوب ومحاسن، والروح النقدية هي التي تدقق وتتفحص من غير تحيز"²⁷

2- التعريف الاصطلاحي للنقد: من الناحية الفلسفية، يمكن الإشارة إلى أن النقد هو "فحص مبدأ أو ظاهرة، للحكم عليه أو عليها حكما تقويميا، تقديريا، ويطلق العقل النقدي على الفكر الذي لا يأخذ بأي إقرار دون التساؤل أولا عن قيمة هذا الإقرار سواء من حيث مضمونه (نقد داخلي)، ومن حيث أصله (نقد خارجي)"²⁸ وبالتالي يكون النقد منهجا عقليا يتناول الفكرة أو الرأي بالفحص من جميع جوانبه بهدف بيان سلبياته وإيجابياته للوصول إلى اليقين.

3- مفهوم النقد الائتماني : النسق الائتماني أو المنهج الائتماني هو منهج وطريقة في النقد انتهجها طه عبد الرحمن لنقد المقاربة الدهرانية، والتي تحمل معنا خاصا عنده، وهو فصل الأخلاق عن الدين، سواء الداعي إلى هذا الفصل وجهته "مادية" أو "روحية"، فمفهوم "الإئتمان" هو ذلك الحدث القدري الذي أسنده الله تعالى إلى الإنسان دون باقي الكائنات الأخرى، والمنتجلى في الأمانة وتكليف ابن آدام بحفظها، مصداقا لقوله تعالى: "إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا"²⁹، إذ تفيد الأمانة عند طه عبد الرحمن "أن الإنسان تحمل حفظ الأحكام الإلهية، لا في ظاهرها كأوامر فحسب، بل أيضا في باطنها كشواهد، سعيا إلى توسيع وجوده إلى أقصى مداها"³⁰ فالأمانة تعني حفظ الإنسان لما استأمنه الله تعالى عليه من أحكام وأوامر إلهية، وحمل الأمانة دليل على أن الإنسان يتمتع بحرية الاختيار منذ أن كان في الآخرة، و مبدأ

النقد الانتماني للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... أ.لعورنجاح
الاختيار عند طه عبد الرحمن يُشكل شرطاً أساسياً في استحقاق الإنسان
تحمل الأمانة، فانتفاء وجود الحرية يعني انتفاء وجود الإئتمان، ووجود الحرية
يعني تحقق مبدأ الإئتمان، بحكم ما للإنسان من قدرة على الاستدلال العقلي
ومن هذا المفهوم يتبين أن طه عبد الرحمن جعل من النصوص المؤسسة
للتراث الإسلامي أساساً يرجع إليه لنقد كل ما هو غير إئتماني بما فيها مصطلح
العلمانية والمبادئ التي تتأسس عليها.

ثالثاً: مبادئ العلمانية عند طه عبد الرحمن:

تأخذ العلمانية عند طه عبد الرحمن بثلاثة مبادئ أساسية تتمثل في:

1- مبدأ تخصيص الدين: ومقتضاه أن الدين شأن خاص بالفرد، أي أمر
ذاتي وينتج عن ذلك كما يقول طه: "أن الدين لا يتعدى إلى الآخرين، وأن الدين
لا يقترن بمعاملة، وأن الدين لا يتولد منه خلق عالمي"³¹، فيصبح التدين أمر
خاص بالإنسان، وهذا الأخير له حرية المعتقد والفكر. ما يجعل السلطة
الدينية مرجعية معنوية ضميرية بعيدة عن استخدام أدوات القصر السياسي
العنيف.³²

2 - مبدأ تعدد الحقيقة: والمقصود بها تعدد الحقيقة الدينية وتعدد
الثقافات والأديان³³، فلا وجود لحقيقة دينية مطلقة بمعنى لا يحق لأي ديانة
مهما كانت وحيانية أو وضعية أن تدعي امتلاكها للحقيقة المطلقة، أو أنها ديانة
كاملة تامة يتم بموجب هذا الكمال فرضها على الآخر والعالم.

3- مبدأ سلطة العقل: ومعناه اشتراك الناس أو البشر في امتلاكهم لملكة
العقل، ينتج عنه لا احتكام للقضايا والقيم، إلا بالرجوع إلى العقل، فالقيم
تستمد من داخل العقل لا من خارجه وبالتالي تكون حتى النصوص الدينية
تابعة للعقل وخاضعة لحكمه³⁴. وتكون هذه المبادئ ترسيخاً وتمكيناً لأخلاق
علمانية وضعية، لا تحقق التدين كمصدر ومرجع أي تمكين في العالم. بل
المرجع والسلطة العليا للعقل والعلم ولا مكان للدين فيها.

النقد الانتمائي للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... أ.لعورنجاح

رابعا- العلم والدين، وعلمنة المعتقدات عند طه عبد الرحمن:

يرى طه عبد الرحمن أن التعامل الأوروبي المسيحي، وخاصة رجال الكنيسة مع العلم كان تعاملًا مقاومًا لكل اكتشاف علمي، والذي حسب زعمهم لا يتطابق مع الحقائق الموجودة في الدستور الذي وضعته الكنيسة، وهي حقائق حسب اعتقادهم يقينية، مطلقًا لا يمكن الخروج عنها.

وتتميز تعامل العلماء الأوروبيين مع الدين المسيحي بمقاومة العمل الديني، على عكس العلماء المسلمين الذين كانوا يعتبرون عملهم العلمي جزءًا من عملهم الديني، ومظاهر وأسباب هذه العداوة بين الكنيسة والعلماء بدأت حسب ما يراه الكثير من المؤرخين، خاصة بعد عديد الاكتشافات التي توصل إليها العلماء، وخاصة بصدور كتاب "حول دوران الأفلاك" لكوپيرنيكوس، وإعلانه هو وغاليليو أن الأرض ليست مركز الكون، بل هي مجرد كوكب تابع يدور حول الشمس، ثم اكتشاف الميكروسكوب (عام 1595)، الذي شكل صدمة كبيرة، إذ مكن العلماء ولأول مرة من رؤية الجراثيم³⁵، ثم بلغت الجهود العلمية ذروتها بفضل اكتشافات نيوتن الذي أرسى أسس العلم الحديث وكان لهذه الاكتشافات العلمية أثر مدمر للمسيحية في أوروبا وكانت سببًا في بروز نزعة شكية إحادية، وقبلها عمليات اضطهاد وتنكيل على يد رجال الإكليروس* فقد كفروا كل من يخالف أمرهم في كل العلوم حتى الطبيعة والجغرافيا، وأقاموا محاكم التفتيش التي عاقبت ما يبلغ عددهم ثلاث مائة ألف منهم، ومن بينهم عالم الطبيعة "برونو"³⁶.

هذا ما جعل علماء أوروبا يتبنون موقفًا عدائيًا من الدين، فتكون النتيجة، سقوط رجال الدين كنموذج كان مهيمنا على العمل الديني وفقدان الثقة بمعارفهم المستمدة من "الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد".

النقد الانتمائي للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... أ.لعورنجاح
هذا النموذج الذي كما يقول طه عبد الرحمن "كان المسيحي لا يكتفي بأن يأتي أفعاله وفق دستور الحياة الذي وضعته الكنيسة، بل كان عليه أن يقتدي بسلوكات قديسيها، ويتبع تصرفات قساوستها".³⁷

بل امتد هذا الصراع بين علماء أوروبا ورجال الكنيسة إلى الصراع من الداخل أي داخل الكنيسة ورجالها وهم رجال الإصلاح الديني "لوثر"* و"كالفين"*، ودعوتهم للمؤمنين إلى قراءة"التوراة والإنجيل بأنفسهم والاجتهاد في فهمها على قدرتهم بدل الرجوع في ذلك إلى سلطة الأبحار وإرشاد القساوسة".³⁸

وقد أدى هذا الصراع نزع الثقة عن معارف ومعتقدات رجال الكنيسة، خاصة بعدما وصل إليه علماء طور النهضة أمثال: (كوبرنيك، ديكارت، غاليليو، نيوتن وداروين) من اكتشافات وتطورات علمية أدى ذلك، إلى علمنة الاعتقادات وزعزعة النظرة الدغمائية للأشياء والكون والعالم والأرض التي كانت لدى الفرد المسيحي، وبالتالي نزع ذلك اللباس القدسي والنظرة القدسية للأشياء هذه النظرة التي كرسها رجال الكنيسة في عقل ونفس الفرد المسيحي، وظهرت نزعتين معلمتين:

الأولى: "تنفي عن الإله القدرة على التدخل في شؤون العالم أو التفاعل معه، فهو لا يبالي بأعمال المخلوقات، ولا يوحى إليهم شيئاً ولا يستجيب لأدعيتهم، ولا يحدث معجزات بين أيديهم بل إنه لا يملك من شؤون هذا العالم إلا فعل الخلق الأول"،³⁹ وأنه فقط يتدخل من حين لآخر لتعديل مدارات الكواكب كما يقول نيوتن.

والثانية: تنزع" عن الإله حتى هذا الخلق الأول، واعتبرته مجرد فرضية لا حاجة لها في المجال العلمي".⁴⁰ وهذا ما يؤمن به العديد من العلماء كلابلاس الذي ألغى قيام الإله بأي دور في الكون.

النقد الانتماني للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... ألعورنجاح
وهناك من أراد (إمساك العصا من الوسط)، أي أن الله قد خلق العالم،
ووضع فيه قوانين الطبيعة التي تسيره ثم تركه، ومعنى ذلك أن الإله الخالق لم
يعد يفعل شيئاً لنا، وليس له أدنى تأثير في أحداث العالم، إنه ببساطة إله لا
أهمية له ولا احتياج إليه⁴¹.

باختصار يرى طه عبد الرحمن أن إنجازات العلم الحديث عملت على نقل
المعتقدات الدينية من دائرة التأطير الاجتماعي العام إلى دائرة الاختيار الفردي
الخاص، وأسست لفكرة فلسفية مؤداها: "الإيمان بوجود إله خاص
بالفلاسفة"⁴²، إله سلبي لا يؤثر في شيء ولا يتصل بأحد، وانعكس ذلك كله ليس
على الدين وحده بل على القيم وتغيرت القيم كما تغيرت النظرة إلى الدين والإله
واتخذ هذا التغيير حسب طه عبد الرحمن ثلاث صور أساسية؛ هي: "الإلغاء،
التحريف والاستحداث".

- الإلغاء: هو نزع صفة القداسة عن الظواهر الكونية وتشيينها، هذه
الظواهر الكونية التي هي بالأساس آليات الخالق ودليل وجوده، وجعلها خاضعة
لقوانين التجريب واقتنائها بقوانين السببية والتقدير الكمي والتنبؤ، وبالتالي كما
يقول طه عبد الرحمن "سلخ عنها القيم الخفية باعتبارها نتاج غايات ذاتية
تختلف باختلاف الرؤى والمصالح وإبقاء الظواهر جلية"⁴³.

- التحريف: ويظهر جلياً في تحريف الكثير من القيم وتغيير مضامينها
كالعلم، التقدم، فأصبحت المعارف المعترف بها فقط المعارف المكتسبة عن
طريق التجريب، الذي يستطيع أن يخرق كل الحدود ويصل إلى ذروة المكاسب
العلمية والوجودية.

ومفهوم العناية الإلهية حل محله مفهوم جديد هو التقدم فأضحى يدل على
انتشار القوة العلمية والتقنية التي تميز التطور الصناعي وما بعد الصناعي
للعالم.⁴⁴

النقد الانتماني للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... أ.لعورنجاح
-الاستحداث: ويعني إحداث واختراع قيم جديدة مثل: الموضوعية،
الحيادية، المادية... " هدفهم من ذلك هو فصل الإنسان عن الظواهر
الكونية،⁴⁵ وإغراق الإنسان في المادية وتهميش واستبعاد كل القيم والمبادئ
الروحية.

خامسا- محاذير العلمانية عند طه عبد الرحمن:

1- تعريف مصطلح المحاذير لغة: يقصد بكلمة المحذور "ما يتقى ويحترز
منه، وفي التنزيل العزيز "إن عذاب ربك كان محذورا"⁴⁶ ، حَذِرَ حَدَارًا تيقظ
واستعد، ومنه خافه واحترز منه، فهو حاذِر، وحَذِرَ الشيء محذور ومحذور منه
"⁴⁷ ، وبالتالي فاختيار طه عبد الرحمن لهذا المصطلح لم يأت من قبيل
الصدفة ، أو جاء جزافا ، لأنه يرى في العلمانية أخطار يجب الحذر منها ،
والتيقظ لشرورها و آفاتها.

يقول طه عبد الرحمن أن نقده للعلمانية وتبيان محاذيرها قد شغل جزءا
هاما وكبيرا من كتابه "روح الدين" ، ويلخص محاذيرها في ثلاثة محاذير أساسية
هي:

- الأولى: أن أفق العلمانية ضيق، ويعني بذلك أنها تحصر الوجود الإنساني
فيما نراه فقط أي الوجود العيني، وألغت الوجود الأخروي أو الوجود الغيبي،
وثانيا أنها انطلقت من منطلق متناقض، فكيف تدعي أن منطلقها هو الخروج
عن الدين وتحييده رغم أن النظام العلماني هو الآخر دين: "ذلك أن كل منهج أو
نظام كائنا ما كان، هو عبارة عن دين...فما الظن إذا ثبت أنه يقلد مراسيم هذا
الدين بل لا يفتأ يقتبس منه العنصر تلو الآخر زاعما بمحو صبغته الدينية"⁴⁸.
وثالثا؛ فهونزع السيادة من الإله الخالق ونسبتها للإنسان المخلوق، وجعله
سيد نفسه وسيد العالم أي أن مآلها التأله.⁴⁹

النقد الانتماني للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... ألعورنجاح
وسوف نأتي على شرح كل من هذه المحاذير على حدا بقليل من التفصيل
لأنه لا يمكن أن نبت فيها بإسهاب في مقال قصير و أن يلم هذا المقال بكل
الانتقادات التي وضعها وكتبها طه عبد الرحمن في مؤلفه "روح الدين":
-المحذور الأول: والذي سماه بمسلمة "قصور الوجود الإنساني"،
فالعلمانيون جعلوا من الدين والسياسة متناقضين لا يلتقيان أبدا منطلقين
من مسلمة الوجود المرئي للإنسان، متناسين وجود الإنسان غير المرئي أي
العالم الغيبي وهذا ما يرفضه طه عبد الرحمن جملة وتفصيلا لأن الإنسان
ليس جسد ونفس فقط بل هو روح ولا هو بكائن يحي ببصره فقط فقد أنعم
عليه الله بالبصر والبصيرة، فهو كما يقول طه: "يحيا بنفسه في العالم المرئي،
فإنه يحيا بروحه في العالم الغيبي، لا يعني يرتحل من أحدها إلى الآخر، موسعا
وجوده، وإذا كان يرى ببصره المباني المرئية فإنه يرى ببصيرته معانيها
الغيبية، فلا تنفك تترقى معرفته، وتأتيه بيقين من بعد يقين"⁵⁰. فوجود الإنسان
وجودين، وجود مرئي ووجود غيبي، فوجوده يتعدى لأكثر من عالم واحد.
وبيان ذلك أن جسمية الإنسان ليست جسمية مطلقة، وأقل كثافة من
جسمية الكائنات الأخرى، فالجسمية مراتب؛ أي جسمية الحجر غير جسمية
الشجر، الأول غير متحرك والثاني متحرك، وجسمية الحيوان غير جسمية
الإنسان، فالأول باق في الزمن الحاضر والثاني له القدرة على الخروج من
الحاضر إلى المستقبل، لذلك فكما يقول طه عبد الرحمن "الجسمية مراتب
متفاوتة، أعلاها جسمية كثيفة وأدناها جسمية لطيفة، وبين الطرفين مراتب
أخرى تزيد أو تنقص كثافتها أو على العكس لطافتها، وإذا صح هذا صح معه
أيضا أن الوجود في العالم المرئي يختلف باختلاف الجسمية، فإذا زادت
جسمية الشيء درجة اقترن وجوده بهذا العالم، حتى إذا ارتقت... وتأخذ حظوظ
الانفكاك عن العالم المرئي في التدني"⁵¹

النقد الانتماني للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... ألعورنجاح
كما أن العلمانية تتعامى "عن الصفة الغيبية للأفاق التي تفتحها أكبر أعماله وأجل قدراته، في حين أن هذه الأعمال والقدرات تكشف عن مدى افتقار الجسمية إلى أن تستكمل بالروح من داخل مظاهرها وهيكلها"⁵²، وتتجاهل "حقيقة الاكتمال بواسطة الروح الذي يغطي على دواعي الجسمية"⁵³، وهذا يفند دعاوى العلمانية بفصل الدين عن الدولة أو الدين عن السياسة استنادا إلى مسلمة "قصور الوجود الإنساني" أو أفقيته، فوجوده المتعدي إلى عالمين، وجود اضطراري لا اختياري سواء أكان مؤمنا أم غير مؤمن، متعبدا أم غير متعبد.

-المحذور الثاني: العلمانية كمنهج ونظام لاتبتعد كثيرا عن كونها هي أيضا عبارة عن "دين"، ويتأكد هذا التصور في نقاط كثيرة أهمها:

- تأثير معتقدات المسؤولين في الدولة العلمانية فالقائمون على الدولة هم أفراد يحملون في قلوبهم معتقدات وقناعات، لايمكن أن يتجردوا منها خلال أداء مهامهم السياسية، وتدعو إلى قيم عليا مأخوذة أصلا من الدين، مثل: "العدل، المساواة و الحرية"⁵⁴.

- يدعي العلمانيون أنه "لاتعبد في السياسة" ويستدلون على دعواهم بأن التعبد للشيء يقتضي رفعه إلى رتبة المقدس الديني، ، بينما السياسة لامجال فيها لتقديس يشبه التقديس الديني، والواقع يؤكد العكس، لأن التعبد في مجال السياسة يتخذ صورة "التعبد للسياسة" لأن المراد به هو: "ممارسة المواطن للسياسة، لا كمنشأ تديري اعتيادي، وإنما كمنشأ تديري أعلى يستحق إضفاء القداسة عليه، مع إظهاره لأشكال من الخدمة والتفاني تليق بجلال هذه الرتبة"⁵⁵. مع العلم أن صفة القداسة والمقدس من صفات الدين لا السياسة وهذا يدل على أن العلماني باستعارته لهذا المفهوم الديني وإضفاءه على العلمانية دليل على أن الصفات الدينية سوف تعزز العلمانية وتؤكد على مشروعيتها.

النقد الانتمائي للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... أ.لعورنجاح
-معلوم أن فترة ازدهار الحداثة وانتشار العلمانية هي فترة أفول الدين،
نتيجة محاربة المؤسسات والمعتقدات واستبدالها بقيم الحرية والمساواة
والتسامح وطلب أسباب العلم والتقدم، ولكن سرعان ما انعكس تراجع الدين
واحلال العلمانية محله رجوع بالسلب على حياة الأفراد فترك فراغا في النفوس
مما أدى برواد الفكر العلماني وزعماء السياسة إلى " تقوية الضمير الأخلاقي
لدى المواطنين وملء الفراغ الاعتقادي الذي يعانون منه، فكان سبيلهم في ذلك
هو أن ينقلوا إلى العمل السياسي بعض مقومات القداسة التي يختص بها
العمل الديني ، فجعلوا لهذا العمل ، هو الآخر، معتقدات وطقوسا ورموزا.⁵⁶
وظهرت " أديان علمانية؛ مثل " الأديان المدنية" التي أول من نظر لها جون
جاك روسو* في نظرية "العقد الاجتماعي"، والأديان السياسية "كالبلشفية
والفاشية والنازية...".

-المحذور الثالث: تأله الإنسان، ويتجلى ذلك في "السيادة"، أي لا سيادة
للفرد على نفسه والكون إلا الإنسان وفقط "ولا سيادة لهم على أنفسهم إلا إذا
صرفوا هذه القوانين المفروضة عليهم، واستقلوا ،هم، بوضع القوانين التي
يدبرون بها حياتهم الاجتماعية والسياسية تديبرا يرتضونه لأنفسهم، وكل تدبير
هو ممارسة لتسيدهم، فمتى استطاعوا أن يضعوا بأنفسهم هذه القوانين
المنظمة لحياتهم العامة.فقد دلّ على أنه لا قوة غيبية عظمى تستتبعهم ، ولا
رجال دين يتسيدون عليهم."⁵⁷

حتى يتخلصوا من أي تسيّد خارجي والمقصود بالتسيّد الخارجي هو القوانين
التي تستمد مرجعيتها من الدين أو رجال الكنيسة، والسبب هو تعارض إرادة
الله مع إرادة المواطن، الناتج عن التصور الفاسد للحقيقة الإلهية، وإقامة
العلمانيين المشابهة بين "وجود الله" و"وجود الإنسان"، وبين "معرفة الله"
و"معرفة الإنسان"، وقد بلغ هذا التشبيه أقصاه في إنزال العقل منزلة الوحي،

النقد الانتماني للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... أ.لعورنجاح
بل إنزاله رتبة أعلى مما جعل بعضهم يدعون إلى "تأنيس الإله، وغيرهم إلى
"تأليه الإنسان"، وآخرين من دونهما يدعون إلى التأنيس والتأليه معا بحجة
اكتشافهم حقيقة ناصعة من حقائق الحداثة المتأخرة ، وأصل هذا التشبيه
عقيدة دينية تأثروا بها هي عقيدة "التثليث والتجسيد" وتأثرهم بالأسطوريات
اليونانية.⁵⁸

والسبب الثاني راجع إلى ضحالة تصورهم للألوهية بحيث أنزلوها منزلة
الإنسانية، وأن الإنسان يمتلك القدرة على النفع والضرر ومراقبة نفسه
والآخرين نتج عنه تصور فاسد للإرادة الالهية؛ حيث جعلوا من إرادة الإنسان
من جنس إرادة الله والعلاقة بين الإرادتين علاقة خارجية لا داخلية.⁵⁹

خاتمة

حاصل القول ، أن طه عبد الرحمن أراد من خلال "مقارنته الإئتمانية " التي
جاء بها لنقد إشكالية الصلة بين " التعبد والتدبير" كما يسميها هو ، والعلمانية
كما اصطلاح على تسميتها عند جُلّ المفكرين والفلاسفة على كثرة ما كتب عنها ،
إلا أنها تختلف مقارنته عن باقي المقاربات، لأنها مقارنة " روحية" تبين من خلال
نقده الائتماني، محاذير العلمانية على الدين الاسلامي القائم على وحدانية الله
و الإيمان بالوجودين، الوجود المرئي والغيبي متوسلا بفطرته الروحية، ومنطلقا
من الغاية التي وجد من أجلها، وهي الخلافة على الأرض تحت الوصاية الإلهية،
و هدم وتفنيدي كل الادعاءات، ومبادئ العلمانية القائمة على مسلمة تحصر
وجود الإنسان في عالم واحد هو العالم المرئي، وبالتالي نسبة كل شيء إلى
الانسان، وفرض تسيده على نفسه وعلى العالم، وتديير أموره الدنيوية
مستغنيا عن تدابير وإرادة خالقه، فالعلمانية واقع دخيل على الأمة الإسلامية ،
والسبب كونها منبت غربي فرضته ظروف تاريخية وسياسية خاصة بالغرب،
فإذا كانت اللائكية أو العلمانية لها ما يبرر وجودها في المجتمعات الغربية،
فالأمر غير وارد بالنسبة للمجتمعات الإسلامية لأن الأمر هنا لا يعدو أن يكون

النقد الانتماني للعلمانية عند طه عبد الرحمن..... أ.لعورنجاح
عبارة عن اسقاطات تلفيقية لمفهوم ونموذج له ظروفه التاريخية الخاصة التي
أوجدته على أمة واقعها وظروفها التاريخية والعقائدية مختلفة تماما عن الآخر
الغربي، الذي وجد أن العلمانية هي الحل لكل مشاكله لكسر تسلط رجال
الكنيسة، ووضع حد للحروب الدينية ، ثم بناء دولة حديثة علمانية .بينما
الأمة الإسلامية لها شريعة إلهية تستند عليها ، وترجع إليها وهي التي تعبر عن
الهوية الأساسية للمجتمعات الإسلامية.

الهوامش:

-
- 1-**Le Robert et collinspocket**, Dictionnaire Français- Anglais, Beryl, Atkim, 1992, France, paris, P.L.
 - 2- **Ibid**,P.L.
 - 3- Holyoke George **jakob the English secularism A confession of belief chicago** :the open court publishing company 1896 P35
 - 4- أوليفيه روا، العلمانية والإسلام، ترجمة: صالح الأسمر، مكتبة الفكر الجديد، ط1، دار الساقى، بيروت، لبنان، 2016، ص.ص.19-20.
 - 5- المصدر السابق، ص.ص.37-38.
 - 6- طلال أسد، تشكلات العلماني في المسيحية والحداثة والاسلام ، تر:محمد العربي ، جداول للنشر والترجمة والتوزيع ، ط1، بيروت، لبنان ، 2017، ص 38
 - 7- معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط1، مصر، القاهرة، 2004، ص624.

- 8- عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص 562.
- 9- مانع بن حماد الجني، موسوعة الأديان، م1، دار الندوة العالمية للنشر والتوزيع، ط4، 1420هـ، ص 679.
- 10- عبد الوهاب المسيري، العلمانية تحت المجهر، ط1، دار الفكر، دمشق، 2000، ص 46.
- 11- المرجع السابق، ص.ص 11-12.
- 12 - <http://www.alhawali.com/main/24/04/2017>
- 13- الموقع السابق.
- 14- عبد الوهاب المسيري، مرجع سبق ذكره، ص 12.
- 15- محمد أكون، العلمنة والدين، ترجمة: هاشم صالح، ط3، دار الساق، بيروت، لبنان، 1996، ص 71.
- 16- المرجع السابق، ص 11.
- 17- المرجع السابق، ص ص 71-74.
- 18- محمد عمارة، نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام، ط2، دار الرشد، القاهرة، مصر، 1997، ص 18.
- 19- عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، م1، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2002، ص 16.
- 20- محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي- محدداته وتجلياته، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1990، ص 18.
- 21- طه عبد الرحمن، يؤس الدهرانية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2014، ص 29.
- 22- المصدر السابق، ص 29.
- 23- المصدر السابق، ص 29.
- 24- المصدر السابق، ص 13.
- 25- طه عبد الرحمن، شرود ما بعد الدهرانية، ط1، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، لبنان، 2016، ص 16.

- 26- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، دط، الهيئة العامة لشؤون مطابع الأميرية، القاهرة، 1973، ص180.
- 27- عبد المنعم الحفني، مرجع سبق ذكره، ص895.
- 28- موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل احمد خليل، المجلد1، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ص238.
- 29- سورة الأحزاب الآية 72
- 30- طه عبد الرحمن، دين الحياء ج1، المؤسسة العربية للفكر والابداع، ط1، بيروت، لبنان، 2017، ص طه عبد الرحمن، دين الحياء ج1، المؤسسة العربية للفكر والابداع، ط1، بيروت، لبنان، 2017، ص17.
- 31- طه عبد الرحمن، سؤال العمل، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 202، ص124.
- 32- عزمي بشارة، الدين والعلمانية في السياق التاريخي، ج1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2013، ص406.
- 33- طه عبد الرحمن، سؤال العمل، المصدر نفسه، ص124.
- 34- عمرو شريف، الإلحاد مشكلة نفسية، ط1، نيوبوك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013، صص31.32.
- 35- محدد إبراهيم مبروك، العلمانية، ط2، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2007، صص125.126.
- * رجال الإكليروس نسبة إلى الإكليريكية وهي إتجاه في الفلسفة الحكم نحو تقوية أثر الدين في الحياة العامة، وطبع التربية ومناهج التعليم به، وزيادة نفوذ رجال الدين من طريق السيطرة على الرأي العام وتوجيهه الوجهة المطلوبة من خلال خطباء المساجد والكنائس. أنظر: عبد المنعم الحفني، مرجع سبق ذكره، ص88.
- *جوردانو برونو 1600-1548 فيلسوف إيطالي ولد في نولا في مقاطعة نابولي وأحرق حيا في روما 1600، نال لقب دكتوراه في اللاهوت سنة 1575م، أنظر جورج طرايبيشي، معجم الفلاسفة، ط3، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2006، ص174.
- 36- طه عبد الرحمن، سؤال العمل، ص237.

37- المصدر السابق، ص 237.

* **مارتن لوثر:** مصلح ديني ألماني مؤسس البروتستانتية ولد في آيسلين في 1483 ومات فيها سنة 1546 تلقى تعليماً جيداً في ماغد بورغ وأيزناخ نال شهادة البكالوريوس في الآداب من جامعة إرفورت سنة 1502 ثم شهادة الماجستير فنون حرة 1505، ودرجة البكالوريوس في الكتاب المقدس سنة 1509 متبحر في فكر القديس أوغسطينيوس. أنظر: جورج طرابيشي، مرجع سبق ذكره، ص 587.

* **جان كالفين** ولد في 10 تموز 1509 في نوايون بفرنسا ومات في جنيف 1564، درس اللاهوت في بداية حياته ثم حصل على درجة الأستاذية في الفنون فعزف عن اللاهوت، من مؤلفاته تأسيس الديانة المسيحية. أنظر: جورج طرابيشي، مرجع سبق ذكره، ص 506-507.

38- طه عبد الرحمن، سؤال العمل، مصدر سبق ذكره، ص 238.

39- المصدر السابق، ص 230.

40- المصدر السابق، ص 238.

41- عمرو شريف، الاتحاد مشكلة نفسية، مرجع سبق ذكره، ص 35.

42- طه عبد الرحمن، سؤال العمل، مرجع سبق ذكره، ص 239.

43- المصدر السابق، ص 240.

44- المصدر السابق، ص 240.

45- المصدر السابق، ص 241.

سورة الاسراء الآية 46-57

47- المعجم الوسيط، مرجع سبق ذكره، ص 162.

48- طه عبد الرحمن، من الإنسان الأبتري إلى الإنسان الكوثر، مرجع سبق ذكره، ص 88.

49- المصدر السابق، ص 88.

50- طه عبد الرحمن، روح الدين، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص 25.

51- المصدر السابق، ص 32.

52- المصدر السابق، ص 39.

53- المصدر السابق، ص 39.

54- المصدر السابق، ص ص 211-212

55- المصدر السابق، ص 227.

56- المصدر السابق، ص 227.

* جون جاك روسو (جنيف 1712، 1778) كاتب وفيلسوف كتب باللغة الفرنسية من أسرة فرنسية مهاجرة، عمل لدى كاتب محكمة ليتعلم أصول الإجراءات القضائية، ثم عمل لدى نقاش ليتعلم مهنته، ثم دخل المدرسة الإكليريكية سنة 1729، ثم صرف منها بعد عدة أشهر، له مؤلفات كثيرة منها العقد الاجتماعي، إيميل تتصف فلسفته بكونها فلسفة إصلاحية انتقدت المجتمع وسعى إلى إصلاحه بوسائل تركيب بين الطبيعة والثقافة وتجمعها في احترام جوهر الإنسان. أنظر: موسوعة أعلام الفلسفة، العرب والاجانب، روني إيلي ألف، ج 1، دار الكتاب العلمية، ط 1، بيروت لبنان، 1992، ص 498.

57- طه عبد الرحمن، روح الدين، مصدر سبق ذكره، ص 190.

58- المصدر السابق، ص 195.

59- المصدر السابق، ص 197.